

مجلة كلية الكنعنة الإسلامية

عشر
مجلة إسلامية - ثقافية - جامعية - محكمة تصدر سنوياً

1424 من ميلاد الرسول ﷺ 1995 أفرنجي

اخْتِتام النَّبَوَّةِ
ظَاهِرَةُ الشُّعْرَاءِ الْكُتَّابِ فِي لَبِيدِهَا
مَا لَمْ يُذْهِعْ مِنَ الْمَصْطَلِحَاتِ النُّحْوِيَّةِ
مَجْمَعُ تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ

الشيخ محمد أحمد العالم

حياة وأثره العلميّة

د. عبد السلام محمد الشريف العالم
أستاذ مشارك
كلية القانون - جامعة قارون - بنغازي

مقدمة

أحب أن أشير إلى أن الغرض من هذه الدراسة هو التأريخ للشيخ محمد أحمد العالم، لأنني أعتقد أن جل المثقفين في بلادنا إن لم نقل كلهم يجهلون تاريخ حياة هذا المصلح الكبير، وأثاره في الحياة الفكرية في ليبيا، ودوره البارز في نشر الثقافة العربية الإسلامية، ومحاربة الغزو الثقافي الإيطالي إبان الاحتلال الإيطالي لليبيا.

ولقد اعتمدت في هذه الدراسة على الرواية الشفوية عن ابنه الأخ عبد السلام محمد العالم رحمه الله، وبعض الوثائق الخطية حصلت عليها من حفيده الأستاذ خالد أحمد العالم زميلنا من حملة الإجازة في الشريعة والقانون

من جامعة الأزهر الشريف، والحاصل على درجة التخصص الدقيق في الدراسات الإسلامية من كلية التربية جامعة الفاتح، وبعض المراجع والمصادر الأخرى، ذات العلاقة بحياة مترجمنا الثقافية والعلمية.

وخطتنا في هذه الدراسة تشمل النقاط التالية:

- 1 - نسبه ومولده.
- 2 - طلبه للعلم وأشهر من أخذ عنهم.
- 3 - أشهر الآخذين عنه.
- 4 - شخصيته العلمية ومكانته الاجتماعية.
- 5 - منهجه في تربية الناشئة وتعليمهم.
- 6 - آثاره العلمية والثقافية.
- 7 - وفاته.

نسبه ومولده

هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن خالد بن عبد القادر بن عبد السلام⁽¹⁾ العالم بن عثمان بن عز الدين بن عبد الوهاب بن عبد السلام⁽²⁾ بن سليم

(1) هو عبد السلام شهر العالم، وهو الجد المشترك بيننا وبين المترجم له، وقد برع في علوم الشريعة وعلوم التصوف.

له مؤلفات مفيدة منها تذييل على المعيار، وفتح العليم في تراجم الصوفية مطبوع، وله شرح على مختصر خليل.

ويزعم ابن غلبون في كتابه «التذكار» أنه يناصر أهل البدع حتى أصبح حجة لهم فيما يتدعون، وأنه غير أمين على العلم، وله حيل في المعاملات تدل على عدم ورعه، وأنه يحتال في المعاملات، ولعل هذه المزاعم قد أملت ظروف المعاصرة لأن المعاصرة حجاب كما يقال. توفي سنة 1139 هـ.

انظر ترجمته في المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب: أحمد النائب

ص 290 وأعلام ليبيا: الطاهر الزاوي، ص 125 والتذكار: ابن غلبون ص 237.

(2) هو عبد السلام بن سليم بن محمد بن سالم بن حميد بن عمران المغربي المخزومي القرشي المعروف باسم عبد السلام الأسمر. تلقى علومه على يد الشيخ أحمد زروق، والشيخ الدوكالي.

ولد سنة 880 هـ وتوفي سنة 981 هـ.

انظر ترجمته في أعلام ليبيا: الطاهر الزاوي ص 122 الطبعة الثانية مطبعة الفرجاني.

الأسمر الحسيني نسبة الأشعري عقيدة، المالكي تفقهاً ومذهباً في الأصول والفروع.

ولد في قرية أولاد العالم «الكراتية» . . . إحدى قرى منطقة مسلاته ببلدية المرقب سنة 1269 هـ الموافق 1850 ميلادية تقريباً لأننا لم نعثر على تاريخ ميلاده على وجه التحديد، وقد أخبرني ابنه أنه عاش خمساً وثمانين سنة.

2 - طلبه للعلم وأشهر من أخذ عنهم

تلقى محمد العالم تعليمه بمدينة طرابلس بمدرسة عثمان باشا وأحمد باشا القره مالي عن أساتذة أجلاء، وفطاحل نبلاء من أعلام ذلك العصر، منهم على سبيل المثال لا الحصر:

أ - العلامة الجليل محمد بن علي بن موسى خال المترجم له، وهو حجة في العلوم الشرعية، وعمدة في عصره.

ب - العلامة محمد كامل بن مصطفى⁽³⁾ صاحب كتاب «الفتاوى الكاملة في الحوادث الطرابلسية» وهو كتاب جامع للفتاوى الشرعية التي أفتى بها الناس على مذهب الأحناف بطرابلس الغرب، ومجموعة العبد الذليل على ريع أنوار التنزيل، وهو حاشية على تفسير البيضاوي.

وله حواشي مفيدة لم تطبع بعد، ويوجد منها مجلد ضخيم بخط المؤلف في مكتبة الأوقاف تحت رقم 105 عام والرقم الخاص 228/2 حسب الفهرس القديم لمكتبة الأوقاف قبل نقلها إلى مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.

ج - العلامة محمد فاضل الشنقيطي أخو العلامة حبيب الله الشنقيطي المدرس المشهور بقسم التخصص العالي بجامعة الأزهر.

د - الشيخ البغدادي وقد تلقى عليه علم التجويد والقراءات وهو فقيه مشهور في زمانه.

(3) انظر ترجمته في الدراسة القيمة الكاملة التي أعدها الزميل الأستاذ محمد مسعود جبران بعنوان «محمد كامل بن مصطفى وآثاره في الحياة الفكرية في ليبيا» ضمن سلسلة السير والتراجم رقم 1 منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي خصوصاً ص 87 حيث وقعت الإشارة إلى مترجماً ضمن تلاميذ الشيخ محمد كامل بن مصطفى.

3 - أشهر الأخذين عنه

لما استكمل دراسته، وشهد له شيوخه وأساتذته بالتفوق والتحصيل والإدراك، وأجازوه⁽⁴⁾ شرع في تدريس العلوم الشرعية بمدرسة الحاج رمضان ميزران، ومدرسة أحمد باشا بطرابلس، وسيدي يوسف بمسلاته فأقبل الناس عليه، وكان ممن أخذ عنه الشيخ علي بن حسن العربي، ومحمد الشوماني، وعبد السلام القندي، وابنه أحمد العالم وغيرهم.

وفي الجملة فقد تخرج على يديه ما يفوق عن مائة طالب، والجميع يذكرون له مواقفه المشرفة في خدمة العلم ونشر المعرفة، إذ كانوا موضع عنايته واهتمامه فتهذبوا بأدابه وتخلقوا بأخلاقه.

4 - شخصيته العلمية ومكانته الاجتماعية

يمتاز محمد العالم بالصراحة في الرأي والصرامة في القول، وكذلك بالورع والتقوى والذب عن السنة الصحيحة، ومحاربة الأهواء والبدع إلى غير ذلك من المزايا الحسنة والأخلاق العالية، والعلم الغزير، والأدب الجم.

وكان بليغاً في إلقاء دروسه ومخاطباته الشفاهية منها والكتابية وهو متمسك بأداب البحث والمناظرة مع من عاصره من العلماء وخير مثال على ذلك الحوار الثلاثي الذي جرى بينه وبين الشيخ عبد السلام قاجه الورفلي

(4) من بين الإجازات العلمية التي تحصل عليها المترجم له إجازة عامة في تدريس العلوم الشرعية سنة 1325 هـ وهي مبتورة الآخر لذلك لم نتمكن من معرفة شيخه الذي منحه هذه الإجازة العلمية والتي جاء فيها بعد الحمد والتوصية على رسول الله ﷺ نبذة عن أهمية سند العلم وشرف تحصيله ثم قال «وكان ممن سلك عقباته وقطع مفازاته وطرقاته وسهر الليالي الطوال، وبذل في تحصيله الهمم العوال الصالح العالم الفاضل السيد الشيخ محمد بن السيد أحمد العالم، وقد التمس مني أن أجزيه بما تلقينته عن مشائخها الأعلام الجهابذة الأساتذة الكرام، وموافقة لظنه الحق الجميل، وتوحيه العلي الجليل، مع أنها طالت الرسوم والآثار، ومضي الراسخون الأخيار، ولم يبق إلا اسم بلا أثر، وشجر بلا ثمر، ولكن التشبه بالرجال فلاح، واقتفاء منهجهم البهي فوز نجاح فقلت والله المستعان أجزت الشيخ المذكور حفظنا الله وإياه بالسرور بما رويته وتلقيته عن الثقات . . . ».

هذه الوثيقة وجدتها عند ابنه عبد السلام محمد العالم.

الوليدي وابنه فيما يتعلق بوجوب ذكر البسملة في صلاة الفرض حيث أنكر عليه تصريحه بوجوب الجهر بها في الفرض الجهرى، وأن من لم يبسم في الصلاة الجهرية فصلاته باطلة وقد ادعى الشيخ عبد السلام قاجه تقليده لمذهب مالك فطلب منه الشيخ محمد العالم إقامة الدليل القاطع على ما ادعاه من وجوب ذلك، ومن بطلان الصلاة بتركها⁽⁵⁾.

وكان المترجم له مثلاً للتقوى، نموذجاً للعدالة، وعمدة في العلوم الشرعية العقلية منها والنقلية.

ترفع إليه الفتوى، فيقوم بحل الغوامض والمشكلات الاجتماعية، وبذلك الصعاب أمام الناس فيتجاوزوها بسلام واطمئنان.

وهو يتمتع بهمة علمية عالية، وشموخ عريض إلى كل ما يسجل له ولأسلافه المجد والسؤدد.

5 - منهجه في تربية الناشئة وتعليمهم

محمد العالم بلا شك أحد رجال الإصلاح في ليبيا، وهو واحد من أولئك الأفاضل الذين كان لهم دور فاعل في نشر الثقافة العربية الإسلامية بين أبناء الشعب الليبي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين؛ فهو بحق مرب عظيم استطاع أن يربي أجيالاً من أبناء الوطن على أساس فكرة تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق وتهذيبها من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة، ولهذا اعتمد في تربية الناشئة على نشر وتعليم القرآن الكريم والعلوم المساعدة ولو بقدر قليل من أجل تحصين المجتمع من الثقافة الاستعمارية الغازية، واتخذ لنفسه منهجاً خاصاً في تحقيق ذلك لقناعته التامة بأهمية نشر وتقوية الوازع الديني في نفوس الناس نظراً للظروف الصعبة التي تمر بها البلاد آنذاك، فأخذ ينادي بضرورة حفظ القرآن الكريم، والتدبر في معانيه، والعمل

(5) اختلاف الفقهاء في البسملة - أحد العالم مخطوط ورقة رقم 2 وهي رسالة مهمة ألفها ابن المترجم له للرد على الشيخ عبد السلام قاجه، وتفنيد أدلته التي أتى بها للرد على المترجم له. وقد تم نشر هذه الرسالة ضمن منشورات كلية الدعوة الإسلامية التراتية سنة 1424 م.

به، ومحاربة الثقافة الإيطالية الاستعمارية، والحيلولة دون نجاح مؤامرات الاستعمار للقضاء على الثقافة الإسلامية من خلال نشر المدارس الإيطالية في البلاد.

وقد أنشأ مدرسة قرآنية بقرية أولاد العالم مسقط رأسه، وألحق بها أماكن لإقامة الطلبة من خارج المنطقة، وأوقف عليها الأموال الكثيرة لتمكين من الاستمرار في تقديم الخدمات التعليمية، وتوافد على هذه المدرسة العديد من الطلاب من مختلف المناطق، وأصبحت نقطة إشعاع ثقافي واجتماعي في منطقة مسلاته والمناطق المجاورة لها إلى عهد قريب جداً.

وكان يشجع الآباء على توجيه أبنائهم إلى المدارس القرآنية لطلب العلم والتفقه في الدين، وألزم طلابه بترديد آيات من شعره المنظوم بشكل جماعي في نهاية كل يوم دراسي.

يقول الشيخ محمد في هذا النشيد التربوي التوجيهي: -

إن قارئ القرآن	فائز يوم الحساب
يوم ينجو من أناب	شافع في الوالد
فمن أتى بإينه	لكلام ربه
طالباً لقربه	فاز يوم عرضه
يوم خوف المعتد	
من لغير الشرع قد	ساق إينه فسد
وعلى الكفر اعتمد	في العذاب الأبدي
فأسمع النصيح وقل	يا أخي لا تعزل
عن طريق الممثل	فاسلك الشرع الأجل
بإشعاع	الواردي ⁽⁶⁾

(6) الوارد: يقصد به النصوص الشرعية من القرآن والسنة الصحيحة.

وذر الذي انتهى حفظ قول السفهاء⁽⁷⁾
تاركاً قول طه فهو مجنون لها
بالكلام الفاسدي
بعد حفظك القرآن فاقراً العلم تصان
وتزيد في البيان⁽⁸⁾ وحلاوة الإيمان
في العلوم اجتهدني

لقد كان للشيخ محمد العالم دور تربوي متميز يستمد أصوله من القرآن الكريم بشكل خاص ومن الفكر الإسلامي بشكل عام، ويدل منهجه في تربية الناشئة وتوجيه الكبار الوارد في نظمه المذكور على مواجهته الصريحة والناجحة للغزو الثقافي الإيطالي، والتغريب الثقافي الإستعماري، وبفضل جهوده الصلاحية ومقاومته للاستعمار الإيطالي على الصعيد الثقافي توجهت أنظار الناس إلى طلب العلم والتفقه في الدين حتى لا تجد بيتاً واحداً في المنطقة التي أسس فيها مدرسته القرآنية وغيرها من المناطق المجاورة يخلو من رجل أو أكثر يحمل الإيمان في قلبه، والقرآن الكريم في صدره وهم لا يقصدون من وراء ذلك إلا أن يتعلموا فيعلموا ويتفقهوا فيفقهوا.

واستمرت المدرسة تؤدي دورها في المجتمع إلى أن تم ضم المدارس القرآنية إلى التعليم العام، ولم يقبل القائمون على شؤونها آنذاك إشراف التعليم على إدارتها وإعادة تنظيمها فتوقفت قبل غيرها عن القيام برسالتها العلمية التي أسست من أجلها وبقيت أثراً بعد عين!

6 - آثاره العلمية والثقافية

كان محمد العالم كثير التصنيف والتدريس، وقد خلف كتباً كثيرة وتصانيف مهمة وخاصة في النحو والتوحيد.

(7) قول السفهاء: البرامج والمناهج الإيطالية المعروضة على الطلاب في المدارس الإيطالية.

(8) بيان أن القرآن الكريم هو القاعدة الأساسية لسائر العلوم الإنسانية والتطبيقية على حد سواء.

وكان يميل إلى نظم العلوم أولاً ثم العمل على شرحها، وهو يقول في بداية نظمه قال محمد هو ابن العالم

وقد تعرضت مؤلفاته للضياع في حياته بعد فقدته نعمة البصر بسبب الغارات التي يشنها بعض الرعاع «الفلاقة» ليلاً بقصد السلب والنهب، والاستيلاء على أموال الناس وممتلكاتهم المنقولة من أمتعة ودواب وكل ما خف حمله وغلا ثمنه كان ذلك سنة 1923 م، 1924 م.

ومن أشهر مؤلفاته:

1 - ألفية في النحو والصرف بعنوان «زبدة فن آلة العلوم»، ولقد اطلعت على شرح مختصر لهذه الألفية مخطوط في مكتبة حفيده الأستاذ خالد العالم، مبتورة الآخر، عدد لوحاتها تفوق السبعين، وتحتوي على الأبواب التالية: -
أ - مبحث الكلام وما يتألف منه.

ب - باب المعرب والمبني.

ج - باب تعريف البناء اللفظي وعد أنواعه، وبيان المشترك منها والمختص، وما يتصل بذلك.

ويبدأ المخطوط بقول المؤلف «الحمد لله الذي جعل لغة العرب أحسن اللغات، والصلاة والسلام على من رفع فوق سبع سماوات محمد المبشر بالشرعة التي لا يأتيها النسخ ما دامت السماوات».

أما بعد فهذا شرح مختصر لمنظومتها المسماة بزبدة فن آلة العلوم، وهو علم العربية بعد أن وضعت عليها شرحاً مطولاً . . . ولم نتمكن من الوقوف على الشرح المطول لمنظومته في النحو والصرف وإليك بعض أبياتها لمقارنتها بغيرها كالأجرمية مثلاً.

ما يتألف الكلام منه

كَلَامُنَا لَفْظٌ مُرَكَّبٌ مُفِيدٌ قَدْ وَضَعُوهُ نَحْوَ سَلْنِي نَسْتَفِيدُ
وَأَقْسَمُهُ لِبَلِّغِ الْخَبَرِ وَالْإِنْشَاءِ نَحْوَ دَعَا زَيْدٌ وَهَلْ يُتَرَانِي

وَجُزْؤُهُ كَلِمَةٌ وَحِدُهَا مُفْرَدُ قَوْلٍ جَعَفَرُ مِثَالُهَا
وَمَا حَوَى الْأَجْزَاءُ قُلٌّ فِيهِ كَلِمٌ وَالْقَوْلُ لَفْظٌ مُبْنِيٌّ مَعْنَى تَعْم

إلى آخر ما قال مما يشمل كل أبواب النحو والصرف .

والقطعة التي بين أيدينا تحدث فيها المؤلف على مقدمات علم النحو ووسائله، وعلى شرح الكلام وما بعده ثم شرع يتكلم عن مقاصده وهي الإعراب والبناء إلا أنه قدم الكلام عن المعرب والمبني لتقدم المحل على الحال، والمقصد بالذات معرفة حالهما وهذا النظم يتميز عن غيره بجودة الاختصار مع عدم الإخلال، وبمجرد قراءة الشرح تدرك تمام الإدراك أن الشيخ محمد العالم عالم في النحو يتمتع بكفاءة عالية في التحليل والتوجيه والنقد العلمي السليم وإنني أدعو أهل الاختصاص الدقيق في النحو والصرف إلى تحقيق هذه الجوهرة الثمينة في النحو والصرف للوقوف على مكانة الشيخ العلمية والاستفادة من تَكَلُّفِهِ العلمية، واستخلاصاته الدقيقة الفنية - في هذا المجال .

2 - من مؤلفاته أيضاً حاشية على شرح التاودي للعاصمية في الفقه على مذهب مالك بن أنس .

3 - حاشية علي بن عاشر .

4 - ثلاث منظومات في النحو، توجد إحداها عند الشيخ سالم العربي اللواتي وقد حجبها عني بعد أن أبدى استعداداه للإطلاعي عليها .

5 - شرح على حكم ابن عطاء الله .

وعدة رسائل أخرى نظماً ونثراً في مختلف العلوم .

وكان محمد العالم أديباً شاعراً لغوياً وقفت على قصيدة له جامعة لنصائح قيمة، وأحكام علمية جيدة قال فيها : -

إذا سبني شخص صفحت تكريماً لكي أنال المجد بالصفح والعفو
ألم تر أن المرء ينقص قدره إذا قابل الأذال بالسب والهجور

وقال في موضع آخر:

وكن طالباً للعلم بالجد واجتهد	فحامله كل الكمال له يحوي
ولا سيما علم الشريعة والذي	كل علم نيل كالصرف والنحو
فكم ساد فرع بالعلوم ولم يكن	لآبائهم مجد يقدمهم مروى
وحط بنو السادات عن رتب سعت	لآبائهم بالجهل كالوضع للدلوي

وقال في موضع ثالث:

رأيت لجهالٍ مناكر تُفعل	بأعراسهم والعيد والمولد النبوي
وفي يوم عاشوراء تخرج نسوة	يصادفن حزياً ليس منهم ذو الصحو
لقد بذلوا الأموال في شهواتهم	وقد مسكوا ما النار من أجله تكوي
ويوصون بالإطعام بعد مماتهم	مع الترك للمفروض عمداً بلا سهو
فغيرهم المحروم من صدقاتهم	وذو العلم ممقوت لديهم ومنزوي

إلى غير ذلك من الحكم والنصائح التي تعالج أنماطاً شتى من الخرافات والبدع والأهواء المتفشية في المجتمع آنذاك.

ودعوة عموم الناس إلى طلب العلم ومجالسة العلماء، ونبذ الإسراف في الأفراح والمآتم، والتزام روح الشريعة في الإنفاق المفروض والتطوعي لتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي في المجتمع.

7 - وفاته

في آخر حياته أصيب بمرض لمدة طويلة تخلى فيها رحمه الله عما هو قائم به من التعليم والتأليف، والوعظ والإرشاد والتدريس. وفي صباح يوم الأحد الثامن من شهر ربيع الأول سنة 1354 هـ الموافق 1935/6/10 م انتقل فقيد العلم والمعرفة إلى جوار ربه ودفن في مدرسته المشهورة باسمه في قرية أولاد العالم بمنطقة مسلاته، وقد اشترك في تشييع جثمانه إلى مثواه الأخير خلق كثير.

وقد اهتمت الصحف المحلية في ذلك الوقت بخبر وفاته فخصصت صحيفة الرقيب عدداً خاصاً لتأبين الفقيد، وكتبت تحت عنوان «مصاب عظيم وخطب جليل»⁽⁹⁾.

بلىنا برزء لا يغادره ذعر وخطب أليم لا يتاح له الصبر
طرابلس حارت وضاق بها الصدر بنعي فقيد العلم ذلكم الصدر

مراجع الدراسة

- 1 - أحمد النائب: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب مطبعة الفرجاني
- 2 - الطاهر الزاوي: أهلام ليبيا
الطبعة الثانية مطبعة الفرجاني
- 3 - محمد مسعود جبران: محمد كامل بن مصطفى وآثاره في الحياة الفكرية في ليبيا منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.
- 4 - أحمد العالم: حكم البسطة في الصلاة منشورات كلية الدعوة 1424 م.
- 5 - الرقيب العقيد عدد 781 - التاريخ 1935/7/11 م وبعض الوثائق الخطية والروايات الشفهية المعتمدة والمتواترة.
- 6 - ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار. تحقيق الطاهر الزاوي، الطبعة الثانية 1967

(9) الرقيب العقيد: العدد 781.

10 ربيع الثاني 1354 هـ الموافق 1935/7/11 م، والرقيب جريدة سياسية أدبية علمية جامعة تبحث في كل شيء.